

المفاهيم الحديثة للإقليم الجغرافي

الملخص:

يهتم علم الجغرافيا بدراسة مظاهر سطح الأرض التي تقوم على أساس الموقع والموضع والامتداد.

كما تعنى الجغرافيا أيضا بدراسة أشكال الأنظمة الموجودة على سطح الأرض والعلاقات التي تربط بين الظواهر المختلفة.

لذلك تعتبر الجغرافيا ذات خاصية متميزة، إذ نجدها تضع قدما في العلوم الطبيعية وقدما في العلوم البشرية.

من المعروف أن الجغرافيا تشهد في هذه السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في المنهج والمحتوى العلمي وكذلك في الأساليب التي يعتمد عليها في تحقيق الأهداف والأغراض وهو ما دفع البعض على تسمية هذا التحول في استخدام الوسائل والمناهج مصطلح الثورة الكمية في الجغرافيا.

المحاور:

1. المفاهيم الحديثة للإقليم الجغرافي
2. المفهوم الحالي لعلم الجغرافيا
3. مجالات البحث الجغرافي
4. المجال المنتج
5. مدخل للخريطة الإقليمية
6. الجغرافيا العامة والجغرافيا الإقليمية في المنظور التقليدي للإقليم
7. الأقاليم حسب التصنيف الحديث
8. الخريطة الإقليمية
9. مصادر الخريطة الإقليمية
10. الوقوف على الموضوع
11. المصادر الخرائطية
12. تحليل البيانات وتصنيفها
13. الصفات التي تتميز بها الخريطة الإقليمية
14. الوضوح وسهولة القراءة
15. التبسيط والتعميم
16. الدقة
17. التعبير
18. الإقليم ومفهوم البيئة والوسط الطبيعي لدى الجغرافيين
19. محددات البيئة الطبيعية

المفاهيم الحديثة للإقليم الجغرافي

المفهوم الحالي لعلم الجغرافيا

إن الجغرافيا لم تعد ذلك العلم الذي يهتم بوصف الظواهر وصفا سطحيا بعيدا عن الواقع، بل أصبحت ذلك التخصص الذي يتماشى والتطور العلمي الحديث المعتمد على التحليل والقياس والربط واستخدام النماذج والنظريات الحديثة وبذلك صارت في الاتجاه التطبيقي الذي يعرف اليوم بالجغرافيا الكمية والجغرافيا التطبيقية التي ترفض أن تستمر بعيدا عن الانشغالات الكبرى للإنسان وذلك لما تمتاز به الجغرافيا من قدرة على التأقلم مع مختلف العلوم فهي تمثل همزة وصل متينة بين هذه العلوم وهي تسخرها جميعا لخدمتها وتأخذ منها ما يخدمها ويميزها عن غيرها.

وقد شهدت السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في المنهج الجغرافي والمحتوى العلمي وكذلك في الأساليب التي يعتمد عليها في تحقيق الأهداف والأغراض، ولعل من أسباب هذه التحولات أيضا ما طرأ على المحتوى البشري من تطور كبير، حيث أصبح الجغرافيون يعالجون مواضيع لم تكن بالأمر معروفة حتى وكأن المتتبع لأعمال الجغرافيين يلمس ذلك الاهتمام المتزايد بالتركيز على دراسة الظواهر والمواضيع الطبيعية والبشرية المختلفة بطريقة تختلف عما كانت عليه في الماضي بفضل استخدامهم للوسائل الكمية المتقدمة في أبحاثهم استعانة بالاحصاء والإعلام الآلي والرياضيات والنماذج والهندسة والطبيعة والكيمياء.

وكان لذلك التطور في استخدام مثل هذه الوسائل نتائج هامة اسفرت عن دفع عجلة الجغرافيا وجعلها علما يتماشى وعصر التكنولوجيا، حتى أطلق البعض على هذا التحول في استخدام الوسائل والمناهج مصطلح (الثورة الكمية في الجغرافيا)⁽¹⁾ لقيت هذه الثورة ترحيبا كبيرا من الجغرافيين لأن للمنهج الكمي مزايا كثيرة ولعل أبرزها وأهمها أن النتائج التي يمكن التوصل اليها تكون أكثر دقة بفضل التحليل العلمي لتسلسل الأحداث، هذا التحليل العلمي الجغرافي يبرز النظم التي أثرت في وجود الظواهر المختلفة التي يتعرض لها الجغرافي بالدراسة، فهو لا يكتفي بالوصف بقدر ما يعتمد على الأسباب التي أنشأت هذه الظواهر.

مجالات البحث الجغرافي

حتى تكون الجغرافيا قادرة على تشخيص المشاكل التي تنحصر في اقليم ما، فإنها تقوم بتحديد المجال، وتشرح العلاقات القائمة بين مختلف العناصر الطبيعية والبشرية مهما تداخلت فيما بينها.

ونتيجة لذلك تعتبر الجغرافيا ذات خاصية متميزة، إذ نجدها تضع قدما في العلوم الطبيعية وقدا في العلوم البشرية.

فإذا كانت التصنيفات الحديثة لمواقع العلوم المختلفة قد تمت في السبعينيات وقسمتها الى ثلاث فئات هي:

(1) د. جودة حسين جودة - وسائل البحث الجيومورفولوجي - دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1991
د. جودة حسين جودة - الاراضي الجافة وشبه الجافة - دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1995

1- العلوم التحليلية التجريبية، 2- العلوم التفسيرية التأويلية، 3- العلوم النقدية. فالجغرافيا من بين العلوم التي تمتلك خواص كل هذه الفئات.

فدراسة المجال الجغرافي تؤكد وجود مكونات كثيرة طبيعية وبشرية مترابطة تتميز بتفاعلات كثيرة تحصل بين هذه المكونات. وهو ما يجعل دور عالم الجغرافيا فيها حساسا ومهما ولذلك نجد دراسة المجال الجغرافي لا تقتصر على موضوع في حد ذاته أو على ظاهرة دون الأخرى، ومع أن المجال الجغرافي يشمل كل الظواهر مجتمعة، فإن دراسة هذه الظواهر تبحث منفصلة مع قياس درجات التفاعل والتعليل دون إهمال أي عنصر من عناصر المجال.

ونظرا لأهمية المجال الجغرافي أقرت مجموعات البحث في اليونسكو منهجية تدريسه في أوروبا على تلامذة المستوى الابتدائي في حالته التطبيقية اعتمادا على توجيه الفهم والإدراك انطلاقا من طرح الأسئلة.

وللتوضيح نقدم هذا النموذج عن المجال المنتج والمكون من خمسة أسئلة كما هو موضح فيما يلي:

المجال المنتج: إن مجرد اقتراحنا للتلاميذ الاستفسار عن الخطوات التي تتعلق بمفهوم المجال لمنتج يعتبر مسلكا نحو إدراك الواقع، أي الانتباه إلى أن كل مجال ما هو إلا حالة من أحوال الحركية (أي أنه في حالة إنتاج) وبالتالي هو نتاج لقرارات بشرية (تأثير التدخل البشري).

ولهذا يتوجب علينا تعليمهم طرح الأسئلة التالية:

- من يُنشئُ المجال
- لمن يُنشأ المجال
- لماذا يُنشأ المجال
- متى يُنشأ المجال
- كيف يُنشأ المجال

ومن الضروري أن يلاحظ التلميذ أن هذه الأسئلة الخمسة مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً بحيث نجد التلاميذ عند محاولتهم الإجابة عن السؤال الأول مثلاً يكتشفون بأن هناك عدة فئات من الناس يحتمل أن تكون لها يد في هذا الفعل وضمن إشكالية متكافئة لقدراتهم سيندفعون الى تحديد ومعرفة الفاعل الذي يصدر عنه الفعل (أهو أنا؟ أهم أفراد آخرون؟) أم مجموعات أخرى أو مؤسسات أو جماعات محلية أم الدولة؟).

وهكذا يتوصل التلاميذ الى وضع الأسئلة الأساسية التي ترتبط بتقسيم المجال تقسيماً اجتماعياً وإدراك المنشأ الحقيقي للمجال (اي مبادئ العدالة الاجتماعية المجالية).

ومما سبق ذكره يتبين ان المجال الجغرافي مبحث يرقى بها نحو المنهجية السليمة في تحليل الإقليم والأقلمة بمفاهيم حديثة سنرى البعض منها في تعرضنا للخريطة الإقليمية.

مدخل للخريطة الإقليمية

مقدمة:

يهتم علم الجغرافيا بدراسة مظاهر سطح الأرض التي تقوم على أساس الموقع والموضع والامتداد. كما تعنى الجغرافيا أيضا بدراسة أشكال الأنظمة الموجودة على سطح الأرض والعلاقات التي تربط بين الظواهر المختلفة.

الجغرافيا العامة والجغرافيا الإقليمية في المنظور التقليدي:

تتنوع الجغرافيا في المواضيع التي تدرسها والطرف التي تنتهجها. تدرس الجغرافيا جميع المظاهر التي يتصف بها سطح الأرض طبيعية كانت أم بشرية وتنقسم الى شعبتين أساسيتين متكاملتين اختلافهما قائم على تباين طرق المعالجة والمنهجية. الشعبة الأولى ممثلة في الجغرافيا العامة بكل أنواعها الطبيعية والبشرية والاقتصادية..الخ، والثانية هي الجغرافيا الإقليمية.

الاختلاف بينهما هو أن الأولى تدرس الأنماط وتبحث عن القوانين المتحكمة فيها في حين أن الثانية تعنى بابرار المميزات التي ينفرد بها كل منظر وكل مركب اقليمي.

تحلل الجغرافيا العامة العلاقات والارتباطات، لأنها تضع كل عنصر في قالبه العام خلال الدراسة، غير أنها لاتقارن أي ظاهرة الا بظاهرة مماثلة لها تذكر تحت نفس العنوان، بينما تختص الجغرافيا الإقليمية بالبحث عن العلاقات والارتباطات التي تصل بين الظواهر القائمة في الاقليم

الواحد وتقارن بينها رغم التباين في طبيعتها وانماطها ويكون هذا لإبراز الأفراد الذي يتميز به الإقليم عن الأقاليم الأخرى.

الجغرافيا الإقليمية هي البحث التركيبي لقطعة من مجال الأرض، ومهمتها ليست بوضع كشف عام لمكونات هذه القطعة، بل مهمتها هي البحث عن الطريقة التي نظم بها هذا المجال وكيفية استغلال الإنسان له.

الإقليم:

يطلق اسم إقليم على مجال من الأرض ينفرد ببعض المزايا والمقومات تجعله وحدة متكاملة وتميزه عما يجاروه من مجالات ويمتد بنفس الدرجة التي تمتد بها هذه الخصائص وهذه المميزات مع العلم ان مفهوم الإقليم نسبي واجتهادي ان لم نقل ذاتي.

نسبي اذا أخذنا بعين الاعتبار أنه لا يوجد على سطح الأرض منطقة تتشابه في كل مقوماتها مع منطقة أخرى مهما صغر حجمها واجتهادي ذلك لان الفرد هو الذي يقوم شخصيا بتحديد الإقليم عادة حسب ما يترأى له من خصائص يقوم عليها هذا التحديد ويقدر تنوع الأسس التحديدية بقدر تنوع الأقاليم نفسها.

تتغير الأسس التحديدية إما حسب المكان أو الهدف المرسوم للتحديد الاقليمي إذا وضع التحديد من اجل استغلاله في تصميم مخطط تنمية مثلا فعناصر الاستقطاب المدني أو درجة التطور الاقتصادي أو التقسيم الإداري الذي سيكون الاطار التنفيذي للمخطط هي التي ستتحكم في تعريف الإقليم وكذلك يلعب اتساع الفضاء المدروس دورا هاما في تحديد نظرة الباحث الى المقومات، لأن المقياس المستعمل في وضع

البحث يختلف مع اختلاف درجة الاتساع فتدرس الوحدات الشاسعة بمقياس صغير والوحدات الضيقة بمقياس كبير والأمر الذي يكون هاماً في المقياس الكبير قد لا يصبح كذلك إذا صغر المقياس.

فالمقومات التي يستعملها الدارس في تحديد الدراسة الإقليمية لا تتغير مع تغير طبيعة الشيء فقط، بل كذلك حسب زاوية النظر التي يختارها ومقياس الدراسة الذي يضعه.

وذكرنا في التعريف أن حدود الإقليم خاضعة للمضمون الذي تحتوي عليه فيجب إذاً تحليل هذا المضمون أولاً حتى يسهل توقيع حدود دقيقة تبعاً لعناصر الاختلاف أو التشابه.

ويمكن لكلمة إقليم أن تشير إلى مركب متجانس تكون فيه العلاقات بين مختلف العناصر المكونة له واحدة أو تشير إلى مجموعة من مركبات متجانسة صغيرة تكون الفروق بينها داخل المجموعة أقل من تلك التي تفصلها عما حولها فتكون إقليماً متميزاً له صيغة اجمالية واحدة تبرزه وسط مجموعات أخرى.

ويمكن للإقليم أيضاً أن يكون مجموعة منظمة تحت تحكم مركز عمراحي يجمع بين وحداتها وحتى ولو اختلفت اختلافاً كبيراً.

الإقليم إذاً عبارة عن مركب ودارسته تخضع للبحث التركيبي فيبدأ أولاً بتحديد عناصر المركز ثم نوضح العلاقات الكامنة بين هذه العناصر أي أنه يجب الاطلاع على مقومات الإقليم واحدة واحدة، ثم إدراك كيفية تأثير كل منها على الآخر.

الأقاليم حسب التصنيف الحديث

يعد الإقليم في نظر الجغرافيين الضابط والمجال الأنسب لتنظيم معلوماتهم في شكل قواعد أساسية، لأنه يمثل الوجهة الأكثر اقناعاً والأقرب إدراكاً في حصر الحقائق وكشف العلاقات بين المظاهر المختلفة والعناصر المتنوعة للمركب الجغرافي: عمراني، طبيعي، حيوي، اقتصادي الخ..

وأول ما تقوم به الدراسات الإقليمية هو تعريف الإقليم أو مفهومه الذي يختلف باختلاف الباحثين وباحثهم، إذ ليس من السهل الإتيان بتعريف شامل ومحدد يحصر هذا المصطلح الجغرافي.

نجد البعض يعرفه بالجزء المتميز من سطح الأرض والمنسجم، والبعض الآخر بالوحدة المظهرية التي تتشكل من عناصر متكاملة ذات خصائص متشابهة بحيث كلما ازداد التشابه بين هذه العناصر قلت الفوارق وازداد الإقليم انسجاماً وتجلت حدوده، بينما كلما اختلفت المعايير والقواعد الأساسية المستعملة في التصنيف كلما ازداد تعريف الإقليم التباساً.

وهناك من الجغرافيين من يتخذ من المعيار الواحد أساساً للتصنيف وإن كان هذا المعيار في غالب الأحيان مؤشراً جغرافياً (كمؤشر الملامسة في المورفولوجيا، أو مؤشر الصرف المائي في الهيدروغرافيا، أو مؤشر الجفاف في المناخ، الخ..).

وقد يكون التصنيف الإقليمي مبنيًا على أساس متغير واحد كمي أو وصفي كعنصر واحد من المناخ أو التضاريس أو الغطاء النباتي، الخ... ومنهم من يعتمد في التصنيف الإقليمي على أكثر من معيار واحد وأبسط عمليات التصنيف هذه تكمن في ادخال معيارين يجمع بينهما في مستوى كارتيزي، يظهر فيه مدى الانسجام والارتباط لتوزيع الظواهر.

فمثلا قد نجمع في الغالب ملاحظات أو معلومات كثيرة لخصائص الظواهر، ثم نتساءل كيف ننظم هذه المعطيات، أو كيف نصنفها حتى تظهر في شكل وحدات متميزة وأقاليم متباينة، وأحسن مثال على ذلك ما تجسده الخريطة الإقليمية التي تعتبر من أكثر خرائط الموضوعات تمثيلا للإقليم.

الخريطة الإقليمية

كيفما كانت التعاريف السابقة الذكر فإن مهمة الخريطة الإقليمية هي تحقيق مبدئين:

- وضع أمام أعيننا مجموع الصفات التي تتميز بها منطقة ما.
- وأن تسمح للملاحظ أن يحدد العلاقة الموجودة بين هذه الصفات.
- والخريطة الإقليمية هي آخر حلقة في سلسلة من الأعمال يقوم بها الباحث انطلاقا من المصادر إلى التحليل وترتيب المعطيات تحت عناوين محددة.
- تقوم الخريطة الإقليمية التركيبية على التبسيط والتعميم دون أن تقع في الانحراف وعدم الدقة وتمثل الاقليم المدروس بواسطة رموز تمكنا من التعرف عند النظرة الأولى على شخصية الإقليم المنفردة وبياناته المميزة بوضوح كما تجعلنا نستطيع اكتشاف جميع الاختلافات الدقيقة إذا أمعنا النظر.

يكون دور الخريطة الإقليمية هو تجميع وتنظيم مجموعة من الملاحظات دون أن تكون مجردة للظواهر، بل فرزا وترتيباً لها وتمثيلاً للعلاقات الموجودة بينها وبالتالي فإن الخريطة الإقليمية ليست بأداة بحث، لأن البحث وخرائط التحليل التابعة له تأتي في المرحلة السابقة لمرحلة وضعها، لكنها عبارة عن بحث يجمع لنا بطريقة فريدة من نوعها كل ما يمكن لنا قوله حول الإقليم المدروس.

مصادر الخريطة الإقليمية

إن رسم الخريطة الإقليمية كتحرير البحوث أو كتابة المقالات يجب فيه اتباع منهج معين والمرور على عدة مراحل الواحدة تلو الأخرى: كالتعرف على الموضوع وجمع المصادر والمراجع اللازمة، تحليلها وتصنيفها، ثم رسم الخريطة.

الوقوف على الموضوع:

عندما يعزم الباحث على وضع خريطة إقليمية لمنطقة ما يجب عليه أولاً أن يتساءل عما يعرفه حول هذه المنطقة وسيجد في غالب الأحيان أن معلوماته جزئية أو تكاد تكون منعدمة فيجدر به إذن أن يطلع بصفة عامة على الإقليم وعلى المقومات التي يتكون منها، ثم إذا حصل على دراسة كافية اتجه إلى المراجع المتخصصة ودقق في البحث بطرح أسئلة متتالية في شكل حوار متواصل بينه وبين المصادر حتى تتبلور نتيجة ذلك صورة متكاملة وواضحة للإقليم يوقعها على الخريطة.

تشمل النصوص كل ما كتب من مراجع علمية وابحاث في الجغرافيا العامة والابحاث المتخصصة والمقالات المطبوعة في المجالات وغيرها وكثيرا ما تزرع المكاتب العامة والخاصة بهذا النوع من المراجع بحيث انه لا يصح للباحث أن يستغني عنها حتى ولو قام عائق اللغة كما هو الحال في بعض الاحيان.

يجب الملاحظة هنا أن نظرة الدارس الذي يستعد لتحريير خريطة إقليمية الى هذه المراجع تختلف بعض الشيء عن نظرة زميله الذي يستعد لكتابة مقال جغرافي، لأنه يراعي دائما في اقتناء المعلومات امكانية توقيع هذه المعلومات على الخريطة. وهناك بعض الظواهر نقطية الانتشار يمكن تحديد مواقعها بسهولة، وهناك بعض الظواهر الأخرى تتصف بالتوزيع المساحي الذي اذا لم يحدد بدقة في النص لا يمكن توقيعه عن طريق النص وحده ويجب على هذا الأخير أن يكون معززا بخريطة حتى تسهل الاستفادة منه. ومقياس الدراسة مهم هنا كذلك، لأن كبر المقياس يتبعه صغر المنطقة المدروسة واذا صغرت المنطقة قلت المصادر الخرائطية.

تنقسم المصادر الخرائطية الى قسمين:

القسم الأول: مصادر عامة كالأطالس العامة والخرائط التي تتضمنها المراجع الجغرافية وتتصف المصادر التي تدخل تحت هذا العنوان بدقة ضئيلة في التوقيع ودرجة تعميم كبيرة فلا تصلح للاستدلال أو كقاعدة لرسم حدود الخريطة الأساسية.

القسم الثاني: يتكون من المصادر العامة التي تشمل الأطالس الوطنية والإقليمية والخرائط المرافقة للأبحاث والمقالات المتخصصة، وتتميز هذه المراجع بالدقة الكبيرة وكثرة المعلومات بحيث أنه يصعب على الباحث أن يستغلها كما هي في رسم الخريطة الإقليمية ويجب عليه أن يعيد توقيعها بشيء من التلخيص والتعميم.

أما الإحصائيات فنحصل عليها في المنشورات الدولية عامة كانت أو كانت متخصصة بموضع معين وكذلك في المنشورات الوطنية التي تصدرها الوزارات والمؤسسات الحكومية ودور البحث العلمي ونحصل عليها أيضا في المجلات والأبحاث التي تنشرها الجامعات والجمعيات العلمية والمهنية المختلفة.

تحليل البيانات وتصنيفها

يشرع الباحث بعد جمع المصادر في تحليل المعلومات التي تتضمنها ويأتي بالعلاقات الموجودة بين الظواهر ويحدد درجة الاتفاق أو التباين في انتشارها عن طريق المقارنة. وكثيرا ما تدخل العلاقات هذه تحت عنوان الحتمية ويجب على الدارس أن يعرف هذه الحتمية ولا يبالغ في استعمالها.

إن الحتمية الجغرافية ليست حتمية التربة أو التضاريس أو المناخ فقط، بل هي حتمية تفرضها مجموعة من الظواهر الطبيعية التي اذا اجتمعت وتراكبت بدرجات متفاوتة كونت لنا وسطا خاصا وبيئة معينة، فحذاري اذا من الاستنتاجات السريعة وقلة التمعن في العلاقات الظاهرية والارتباطات السطحية الخادعة.

ويجب الملاحظة أن الارتباط لا يكون فقط بين العنصر الطبيعي من جهة والعنصر البشري من جهة أخرى، بل أيضا بين مختلف المظاهر المكونة لكل عنصر.

ولا تأتي صعوبة رسم الخريطة الإقليمية من قلة البيانات والعلاقات الواصلة بينها، لكنها بالعكس كثيرا ما تأتي من هذه المعلومات وهذه العلاقات حتى أن الباحث يختار فيما سيقوعه وما سيعتركه، فهناك عملية اختيار وانتقاء يجب القيام بها.

نبدأ هذه العملية بتحديد ما سيدخل في تكوين شخصية الإقليم المدروس فنحتفظ به ونتنازل عما ليس له أهمية أساسية في هذا الميدان. ولا يمكن أن يكون اختيار المقومات عفويا يرجع الى محض الصدفة، بل يجب على الباحث ان يتصور الخريطة قبل رسمها وينطلق من هذا التصور. وليست هناك طريقة خاصة معينة للقيام بعملية الاختيار، لأن ذلك لا يكون الا بعد الاطلاع بتحديد العلاقات التي يجب توقيعها حتى تبرز وحدة الإقليم وتباينه عما يجاوره.

قد يكون الاختيار جبريا أي أننا نعلم من أول وهلة ان ظاهرة معينة (طبيعية أو بشرية) لاتعد من مقومات الإقليم، فلا نهتم بها كما يرتبط الاختيار في كثير من الأحيان بمقياس البحث.

فعلى سبيل المثال، قد تكون وجوه الاختلاف الموجودة في منطقة صغيرة غير ناتجة عن النظام المناخي السائد بها فليس صحيحا اذا أن نعطي أهمية فائقة لعنصر المناخ في تقويم هذا الإقليم.

ويفرض كبر مقياس الخريطة أيضا نوعا آخر من الاختيار فإذا صغرت المساحة قلت البيانات وتفاوتت درجة الدقة فيها فلا نختار إلا المعلومات المتجانسة التي تتسم بدقة كافية.

وتسهل عملية الاختيار بفرز المعلومات وترتيبها تحت عناوين واضحة ويكون الفرز على جميع المستويات اللازمة، حسب الميدان الطبيعي والميدان البشري أولا، ثم داخل عناصر كبيرة في هذين الميدانين وأخيرا ضمن الانماط التي تتكون منها العناصر الكبيرة.

ويمكن أن تكون عملية ترتيب البيانات على الطريقة التي اتبعت في الفرز دون أن يكتفي بها، بل يراعي أيضا أسسا تشمل البنية والعلاقات التاريخية ونشأة الظاهرات ونوعية التطور الذي تتصف به، فلا يكون الترتيب سطحيًا واسميًا فقط، بل عميقًا ويأتي عن تمعن في شخصية الإقليم (أي ترتيبًا جغرافيًا بمعنى الكلمة) يأخذ بعين الاعتبار كل ما يدخل في وصف بيئة معينة.

وبالترتيب هذا تبدأ عملية الشرح والتركيب التي تتضمنها الخريطة الإقليمية وهي الطريقة الوحيدة التي تسمح بتوقيع حقيقة الإقليم المعقدة ببساطة ودون غموض.

الصفات التي تتميز بها الخريطة الإقليمية

إن الخريطة الإقليمية ليست بلوحة فنية ولا تتطلب من وضعها معرفة كبيرة لفن الرسم، أنها مجرد وسيلة تعبيرية شأنها شأن الرسوم الهندسية التي يستعملها علم الهندسة ويكفي لتحقيقها أن توفر بعض الشروط وتطبيق بعض القوانين.

الوضوح وسهولة القراءة

يلعب هذا الشرط دورا أساسيا في رسم الخريطة الإقليمية ويكون الوضوح في الشكل العام للخريطة كما يكون في الجزئيات والتفاصيل، إذ يجب ان تبرز لنا الخريطة اهم العناصر المكونة للإقليم من أول نظرة كما يجب ان تمكننا من الاطلاع بصورة واضحة على أدنى جزء منها.

ويأتي الوضوح من النظافة في التنفيذ قبل كل شيء، فيجب رسم المستقيمت بالمسطرة والدوائر بالفرجار وتنظيف الخريطة من أي نقطة ومن جميع الخطوط الثانوية التي تستعمل عادة لتوقيع الخريطة "شبكة المربعات المستعملة لتغيير مقياس رسم الخريطة مثلا" كما يتجلى الوضوح في حسن اختيار الرموز حتى اذا ركبت واحدة على الأخرى لا ينتج غموض من ذلك التركيب.

أما سهولة القراءة فتأتي من الاقتصاد في استعمال الرموز وحسن اختيارها. والصعوبة تزداد مع تعدد الرموز وكثرة تنوعها. كما يلعب مقياس رسم الخريطة دورا مهما في تعيين درجة الدقة التي ترسم بها الرموز حتى لا تتداخل وتطمس الخريطة، لكنه لا يسمح للوضوح أن يكون على حساب وفرة المعلومات، لأننا لانستطيع وضع صورة تركيبية ذات قيمة كبيرة بتوقيع بيانات قليلة.

فإن لم تسمح لنا الخريطة باعطاء جميع المعلومات عن الإقليم فلها على الأقل ان تبرز لنا أكثر الأمور عنه.

التبسيط والتعميم

ومما سبق ذكره يتبين أن التبسيط والتعميم شرط يجب توفره في الخريطة مهما كبر مقياس رسمها ويكون التعميم والتبسيط سواء في مستوى رسم الخطوط الأساسية للخريطة من سواحل وأنهار وطرق أو في مستوى توقيع البيانات التي قرر الاحتفاظ بها.

ونقصد بالتعميم بساطة الرسم خاصة فكترة الدقة بدون لزوم تثقل الخريطة وتطمس معالمها الأساسية ودرجة التعميم تكون تابعة لأهمية الظاهرة الموقعة فنكتفي بمجرد التلميح بظاهرة معينة، لأنها تلعب دورا ثانويا.

في حين أننا نوقع ظاهرة أخرى ذات أهمية بالغة بكثرة من التفصيل، فقضية التعميم نسبية اذا ولا يصح التفصيل أو المبالغة فيها كما لا يصح التعميم أن يكون على حساب الدقة أو صحة توقيع البيانات، لأنه يجب على الخريطة أن تعطي صورة صادقة على الإقليم رغم بساطة التمثيل، وتعميم البيانات فيها ويتطلب درجة كبيرة من الدقة في التفكير، لأنه أمر يصعب الحصول عليه.

الدقة

تكون الدقة في التوقيع وجلب المعلومات الصحيحة، فالبيانات الموقعة في غير مكانها تغير مدلول العلاقات الناجمة من التركيب كما تشوه المعلومات المزيفة لشخصية الإقليم المدروس فيجب على الباحث أن يكون **أولا**: دقيقا في اقتناء معلوماته **وثانيا**: في تحليل البيانات **وثالثا**: في توقيع الظواهر.

والدقة في اقتناء المعلومات هي أن يبحث على البيانات الصحيحة الحديثة ويتحقق من صحتها، فلا يجوز له أن يستغل احصائيات السكان لسنة 1967 ويترك احصائيات سنة 1998 مثلاً كما أن الدقة في تحليل البيانات هي الا يكتفي بالظاهر ويترك الكامن ويسرع في الاستنتاج عندما يكون التعميم أمراً ضرورياً. اما الدقة في التوقيع فتقوم على اختيار الرمز المناسب من جهة وتوقيعه في المكان المعين له من جهة أخرى.

التعبير

نقصد بالتعبير شرط اختيار الرموز المناسبة لكل ظاهرة بحيث تتوفر فيها صفات تجعل الخريطة ناطقة يسهل الوقوف عما تتضمنه وتخص هذه الصفات شكل الرمز وحجمه فالشكل بما فيه اللون يوحي لنا بطبيعة الظاهرة الموقعة أما الحجم فيبرز أهميتها بين مقومات الإقليم.

الإقليم ومفهوم البيئة والوسط الطبيعي لدى الجغرافيين

تحدد البيئة الطبيعية بعدد كبير من المظاهر التي لا دخل للإنسان في وجودها أو استعمالها فيمكن القول بأن من مظاهر البيئة الطبيعية مثلاً الغابات الإستوائية أو السفانا أو الصحراء أو الجبال الإلتوائية أو البراكين أو البحار والمحيطات.

ومن هنا كان الجغرافيون يطلقون على مناطق العالم أسماء في اطر بيئية فيقولون البيئة الإستوائية (وهي فريدة من نوعها في المناخ والنبات وذات ظروف مناسبة وغير مناسبة لوجود الاحياء). أو بيئة

السفانا أو بيئة الصحاري الحارة أو الباردة وهكذا، وهم هنا يحددون عددا من الظروف الجغرافية التي تنفرد بها هذه المناطق دون غيرها ومن ثم تتحدد ظروف البيئة، إلا أن هذا التحديد وحده لم يكن كافيا، لأن هناك تداخلات كبيرة بين حدود وعناصر هذه البيئات بحيث تنشأ بيئات انتقالية بين بيئة وأخرى.

كما أن عناصر بيئة الغابات الإستوائية على حسب المثال لا تتوفر على كل مظاهر خط الإستواء، فهي في حالة الوجود المشبع بالماء تختلف في مظهرها غير المشبع بالماء وهي عند مستوى سطح البحر غيرها في العروض العليا الخ.. لذلك لابد من البحث عن محددات البيئة الطبيعية حتى يمكن رسم حدودها.

محددات البيئة الطبيعية:

لو بحثنا في العناصر أو المظاهر التي يمكن بها أن نحدد البيئة الطبيعية لكان لزاما علينا أن يكون هذا التحديد من وجهة نظرنا نحن البشر، بمعنى أن الإدراك من قبل الإنسان يعتبر احد محددات البيئة وعناصرها. ولا شك أن عوامل بناء البيئة الطبيعية عديدة جدا بعضها محسوس وملمس كالهواء والأرض والكائنات الحية التي تزخر بها الحياة وبعضها متضائلة في الحجم الى ما دون الرؤية بالعين المجردة، وتتعاظم في العدد الى حد العجز عن حصرها، ومن الكائنات ما هو ذو حجم مجهري أو في حجم عملاق منفردا كان أم مبعثرا أو متجمعا هائلا كالحيوانات والبكتيريا وجراثيم الأمراض والطفيليات وغيرها، الخ..

إن اصطلاح البيئة الطبيعية يستبعد العوامل الاجتماعية والنفسية رغم إنها على قدر كبير من الأهمية حينما نعرفها بأنها دراسة العلاقات الحيوية بين الإنسان باعتباره احد أفراد المملكة الحيوانية ومجموع بيئته الطبيعية الحي منها وغير الحي.

لذلك ربما كان في الحديث عن البيئة الحضارية أو الثقافية ما يكمل الصورة ويحدد الإطار لمفهوم البيئة بشكل مطلق. وعموما يمكن أن نحدد مظاهر البيئة الطبيعية في مجموعتين من العناصر هما العناصر البيئية الحية والعناصر البيئية الجامدة.

أما المجموعة الأولى فتضم كافة الأحياء بدءا من البكتيريا والهواء ونهاية بالمملكة الحيوانية التي يتزعمها الإنسان وهي عناصر مؤثرة، عاملة ومستعملة، إلا أن عملها أو دورها يختلف سلبا أو ايجابا عن عناصر البيئة الجامدة، فتحليل الصخر كيميائيا وتغيير أشكاله الجيومرفولوجية يعتمد أحيانا على تحليل الأحياء وتفاعل مادتها مع مادة الصخر مما يؤدي في النهاية الى مظهر تضاريسي مختلف ويلعب الهواء دورا في ذلك بالطبع وهكذا.

أما الإنسان فهو عنصر كغيره من العناصر ولكنه فريد في تأثيره وتعامله مع العناصر الأخرى، حيث أنه نجح بفضل تكوينه الذي خلقه الله عليه في استحداث بيئات خاصة به.

أما المجموعة الثانية من العناصر فهي جامدة بمعنى أن لا حركة فيها يمكن أن نحسها أو نلمسها في المدى الزمني أي يمكن للإنسان ان يدركها فالجبال الراسية والبحار والبراكين والعواصف والرمال وغيرها متعددة وكثيرة.

إن المظاهر الطبيعية للبيئة تشمل باختصار العلاقات المكانية والمناخ والبنية والتضاريس والتربة والماء السطحي والجوفي والحياة النباتية والحيوانية برا وبحرا وجوا.

البيئة الطبيعية بهذا التحديد سيكون لها تاثير بعضه مباشر وبعضه غير مباشر في أي جماعة حية من نبات أو حيوان أو إنسان ولهذا نقول أن البيئة تؤثر وتتأثر بدرجات متفاوتة ينتج عن هذا التفاعل استجابات من كل كائن حي يعيش بين عناصر هذه البيئة ويتأثر بها ماعدا الإنسان الذي يمتلك العقل والارادة فإنه يحاول أن يجد مخرجا من سلطة تلك العناصر بتلاؤمه أو تكيفه بكيفية ما.